

أجوبة عن أسئلة...

مبدع

نشرت رصيفتنا الغراء مجلة «المغرب الجديد» في عددها الثاني جملة من الاسئلة ورجت من قرائها الجواب عنها، وقد تفضل جناب العلامة الاستاذ محمد الحجوي بتحرير الاجوبة التالية التي ننشرها هنا افادة، أطال الله بقاءه وحفظه للعلم والملاح.

٨ (س) هل السلالة المغربية حاضرة جامدة، أم هي قابلة للنهضة والتطور؟ إننا نرى من المتعددة للتطور فما هي وسائل تطورها، وإلى أية وجهة يمكن ان تتجه أثناء هذا التطور؟

ج) هي قابلة للنهوض والتطور بدليل ماضيها، فأمة أنجبت مثل إدريس الثاني باني فاس، ويوسف بن تاشفين وعبد المومن بن علي الموحيدي، والقاضي عياض اليحصي، ودراس بن إسماعيل الفاسي، وابن محسود القاضي الهواري الفاسي، وابي عمران الفاسي، وابي الحسن الزرويلي، وابي الفضل الوليدي، وابن القطان الفاسي ثم المراكشي، وابن البناء المراكشي، وعبد العزيز العبدوسي، وابن سليمان الروداني، وابن الوزان الملقب اليون الافريقي الفاسي، وابن غازي، وابي عبد الله محمد بن المدني جنون ومن لا يحصى كثرة من الامراء الفاتحين والعلماء والادباء المؤلفين والصناع الفنانين، وصنائعهم لا تزال ماثلة في المساجد والمدارس وفي المتاحف من النفائس شاهدة بحسن الذوق مع الابتكار، لعجيب ان يسأل مثل هذا السؤال عنها احد ابنائها - أمة ملئت الخزائن بمؤلفاتها واعمالها وقادت أمماً عظيمة بسيوفها ومعارفها مع ما هو مشاهد الآن من التطور الحديث في حياتها وأفكارها، والعذر للسائل أنه رء التطور الحديث بطيئاً جداً ولم يتمحض اتجاهه، فهي متحركة في أخريات نومها، أما وسائل

تطورها فتتخصر تقريباً في التربية والتعليم فإن هي أفادت من سنتها وأحسن طرق التربية الصحيحة والتعليم المفيد تطورت تطور الامم الحية ونالت قسطها من الحياة، وإن بقيت متكئة على غيرها أبطأت ما شاء الله وبقدر وسائل التربية والتعليم يكون التطور، أما اتجاهها فهو بحسب التربية والتعليم أيضاً وهكذا الامم كلها، فإن أسست التربية على أخلاق كاملة إسلامية حقة مجردة عن الاوهام والاضاليل وعن مفاصد المدنية الأوروبية كان اتجاهها نحو الكمال، كذلك إن بني التعليم على الحقائق وأسس على ابتكار موارد الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة اتجهت نحو حياة حقيقية شريفة، وإن بني على خيال الشعر ونغم الموسيقى والاناشيد وزعامة الاماني الفارغة والتسابق الى كل ما ينفع بشرط ان لا يكون فيه تعب ولا تضحية ولو كان النفع لعموم الامة وشقاشق الكلام الفصيح والخطب الرنانة التي لا تجر نفعا ولا تنجي من خطب، كانت حياة خيالية كحياة غالب أمم الشرق تعيش بالاماني كما يعيش الكمون بوعود السقيا، وعلى كل حال المستقبل لله ثم للتربية والتعليم.

٩ (س) هل الشعب المغربي تسود فيه روح الفردية والانانية أم روح التعاون؟ إن كان شعباً تعاونياً فما هي مظاهر التعاون فيه؟ وإن كان شعباً فردياً فهل روح الفردية غريزية فيه أم هي نتيجة من نتائج التربية؟ إن كانت ناشئة عن التربية القديمة فهل يمكن تغييرها بتربية جديدة وما هي وسائل هذا التغيير؟

ج) الشعب المغربي المعاصر فردي اناني تكسرت فيه سلسلة رابطة التعاون بمعول حب الذات، وتفككت عراه بالشخصيات باستثناء اليهود لما ظهر فيهم من التعاون، اما سلفه فلم يكونوا كذلك بدليل تاريخه، وان شعباً يقطع البحر

وينامر ليعين اخاه الاندلسي وياخذ بيده عند سقطته ليس
بفردى ولا اناني ، فالفردية ليست غريزية فيه بل من
نتائج التربية التي أهملت فابعدت عن الشعب فهم القرآن
العظيم الذي بنى الدين على الاخوة والحب والتعاون وما
من شعيرة من شعائر الاسلام الا وتجد التعاون إما هو كل
الحكمة المقصودة من التشريع كالزكاة واما هو بعض
الحكمة وكذلك بقية الشرائع الاسلامية ، ويمكن تغيير
الفردية بتربية جديدة بوسائل التعليم الحق كما سبق .

٢ (س) العقلية المغربية هل هي راقية أو منحطة ؟ ان
كانت راقية فما مظاهر رقيها وان كانت منحطة فما هي
عوامل انحطاطها أنقص في التكوين ام في التربية ؟

(ج) الجواب يعلم من الجوابين قبله مقايضة أو مقابسة .
(س) هل يوجد ادب مغربي يصح ان يطلق عليه
الاسم ؟ ان كان موجوداً فهل هو بالعربية او العامية او بهما
وما هي مظاهره القديمة والحديثة والمعاصرة وان كان غير
موجود فما هي اسباب عدم وجوده ؟

(ج) الادب المغربي على مصطلح الادباء موجود قديماً
وحديثاً بالعربية الفصحى العدنانية وباللهجة الدارجة التي
هي عربية ايضاً خلاف ما يظهر من السؤال نعم ليست
خالصة ، دليل ذلك مظاهره ، فأما القديمة فشعراؤه وكتابه
المشهورون في التاريخ مع دواوينهم ، والتوالييف التي الفوها
في الادب لاتجهل فالقاضي ابو الفضل عياض شاعر كاتب
عالم مؤلف من الدرجة العالية وهو فاسي الاصل سبتي الدار
مراكشي الهجرة والقبر ومن شعرائنا مالك ابن المرحل
السبتي ثم الفاسي والحصري القيرواني ثم الطنجي وابن الونان
الفاسي وهذا اليوسي ابو علي صاحب زهر الاكم والديوان
وغيرهما من التأليف المهمة في الادب وغيره ومن عاصره من
الدلائين وسيدي عمر الفاسي الفهري اديب الفقهاء وسيدي

سليمان الحوات الفاسي اديب المؤرخين وابن القاضي كذلك
وغيرهم ممن لا يحصى كثرة وكتبهم في العلم والادب لم نزل ،
منها ما طبع ومنها ما اهل وإنما تاخرنا فوقع التأخر في كل
شيء ، حتى خيم خيال العدم على ما تقدم أو تأخر من مجد
وأدب وغالب الامم اذا نزل بها الهرم هزمت جميع مناجي
فخرها وحياتها كالفرد اذا هرم هزمت جميع أعضائه فإذا
دبت روح الحياة دبت في كل عضو .

ومن مظاهره العصرية اشتغال مجلة المغرب بنقد بعض
شعرائنا المعاصرين فذلك النقد نفسه دليل ادب كثير وخير
وفير إذ العدم لا ينتقد على ان ما تبحث عنه المجلة من
ادب غير متقد وشاعر لا ينتقد شيء من شعره وقصيدة
تتفق الآراء على استحسان كل أشطار ابياتها بل كلماتها
وحروفها وحصر المعاني في العموميات والوطنيات ، هو
شيء بحشنا عنه فوجدناه لا ينبت إلا في جزيرة الانسان
الكامل الذي لا يعيش إلا في الاقيانوس الخيالي في الفصل
الخامس من فصول ستة ميثاق بريان كيلوغ عند ظهور
نجم السلام بعد القيامة بألني عام ، ولست ممن يزعم أنه كان
يوجد في المغرب المثل الكامل من الادب قديماً او حديثاً
بل أعترف انه مفقود الآن لفقدان أسبابه ، وانتم والقراء
تعلمونها ، وتعلمون ما يطلق الالسة وينطق الافئدة او
يعقلها ولله في خلقه شؤون .

هذا ولنا ادب باللغة العامية أيضاً ومظاهره واضحة
في أمثال العامة المغاربة ، وحكمهم الجارية على الالسة الى
الآن ، الدالة على تفكير وغوص على المعاني الرفيقة
وحسن الذوق ، وتذوق الفلسفة الاجتماعية ، والسياسات
العالية ، بحيث لو جمعت أمثال العامة والحكم الجارية على
ألسة المغاربة بدواً وحضراً كانت ادباً جماعاً وعلماً صحيحاً
نافعاً ، وهذا مما ينبغي ان تشتغل به مجلتكم الادبية ،

وإياكم ان يقع لكم ما وقع لمن جمع بعض الامثال فسقط على أمثال ساقطة تجري على السنة الطبقة السفلى ممن لا خلاق لهم فصور لنا صورة شوهاء وترك الامثال العالية الجارية على السنة الطبقة العليا والوسطى والاغراض تحيل الاعراض وتبيح الاعراض.

وهكذا القصائد التي أنشئت بالملحون والازجال والتواشيح وغيرها محفوظة معلومة مدونة في الدواوين ، فهذا الوزير محمد بن إدريس له ديوان ملحون كما له ديوان نظم من طبقة عالية وأدركنا من المتأخرين الحاج إدريس السناني وهو شاعر في المنظوم والملحون وله ديوانان أيضاً وغيرهما كالمسطاري شاعر مكناس وهناك من اختص بالملحون ولم يكن له باع في اللغة الفصحى كالمدغري وسيدي قدور العلمي ومن المعاصرين السعداني القاسي وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، على ان فكري الخاص لا يميل الى اعتبار الادب الملحون ولا أحب تنشيطه سداً لذريعة ضعف لغتنا الفصحى القرشية على قرب ما بينها وبين العامية ، إذ تقوية العامية إضعاف للفصحى ، فيجب علينا بذل كل مجهود حتى ترتقي العامية بالاصلاح تدريجياً الى ان تصبح فصيحى عن طريق التعليم والالتقاء في المدارس ، ولا نعطي العامية اكثر اناثاً يثبت بنيانها ويدعم أركانها حتى تبقى سداً دون رقي أفكار العامة الى فهم القرآن واسراره ومطالعة المجلات والجرائد التهذيبية المنيرة للفكر العمومي والتي بها يشعرون بدرجة حياتهم وامور دنياهم .

(س) هل يوجد تاريخ للمغرب أم لا ؟ إن كان موجوداً فهل هو تاريخ الحكومة المغربية أو تاريخ الشعب المغربي ؟ إن كان تاريخاً للشعب فهل هو تاريخ سياسي او علمي او جامع بينهما ؟

(ج) إن تاريخ المغرب موجود على الاجمال ولكنه

غير منظم بل هو شذرات في كتب وتقاييد على النسق القديم ، فنه ما هو تاريخ للحكومة وهو أغلب التواريخ الاسلامية كتاريخ القرطاس ، ومنه ما هو تاريخ للشعب كالجذوة والصفوة ودرة الحجال في أغلب ما يوجد فيها ، ومنه ما هو جامع بينهما كالاستقصا ، على ان هذه الكتب لم تستوعب الناحية الاولى ولا الثانية ولا جاءت بما يصور الحالة السياسية ولا الاجتماعية والعلمية والاقتصادية تصويراً تاماً بطريق برهاني مثل ما يوجد في التواريخ الحديثة التي ألقت بعد ظهور فلسفة الامام ابن خلدون وبعد تقريب المواصلات وتيسير المواد وتوفر الكتاب ، وتجدد الرغبات وانتشار الجرائد والمجلات الناقلة للاخبار والمقربة للديار من الديار ووفرة المطالعين والقارئ المنشطين للمؤرخين ولكنها تفيد في الجملة ما تفيده تواريخ القرون الوسطى باروبا ، وإني أعترف بأن اهل المغرب لم تكن لهم قدم في التاريخ ولا اعتناء به حتى ان تاريخ ولاية الدولة الاموية والعباسية بالمغرب واعمالهم بالمغرب قد ضاع وان الدولة الادريسية لم يكن تاريخها إلا شذرات أظنها متلقاة من افواه بعض القصاصين بعد الادارسة بكثير ، وهكذا دولة برغواطة بتامسنا إنما تلقيت من كاتب منهم أملاها في الاندلس بعد برهة من الزمن كما يوخذ من ابن خلدون ، واكثر من ذلك في الابهام دول زناتة كبني مدرار ومكناسة ومغراوة وبني يفرن ، والذي دون في وقته غالباً تاريخ دوله العظمى الاسلامية ، اللاتونية ، الموحدية ، المرينية ، وذلك والله أعلم بسبب توفر الجالية الاندلسية التي لها اهتمام بالتاريخ في هذه الديار لما لها من الحضارة العريقة ورغمما عن ذلك كله توجد جملة صالحة من تاريخه تقارب تاريخ امثاله في تلك القرون من بلاد أخرى يمكن ان يستخرج منها تاريخ مهم للبلاد .

س) هل يوجد في السلالة المغربية شخصيات تستحق الخلود أم لا ؟ إن كانت موجودة فما هي اعظم شخصية بينها ؟

ج) إني أكره الكتابة بل والكلام في الشخصيات ولو بنحير تحريماً لقول الحق ونزهاً عن الوقوع في مس العواطف - وأرى ان اهل الجيل الحاضر كالمثقفين على عدم الاحتجاج بمفهوم القلب إلا في هذا المقام ، فإذا رآك زيد مدحت عمراً انقبض لانه يسبق الى فهمه ان مفهومه ذم ما سواه ولا كنهم لا يعتبرون هذا المفهوم في الذم ، وهو فهم لا يستند الى برهان الا للشخصيات ، ومع رداءته صار غير قابل للجدل عند كثير ، كذلك تضيق صدورهم عن تحمل النقد فيريد كل واحد ان يكون او يوصف بالكمال كله ومع ذلك يقولون لا كمال إلا لله ، لذلك لا أجيبكم إلا عن شخصيات تاريخية فأقول : في المغرب شخصيات تستحق الخلود كثيرة ولا كني لا أرى ان هناك شخصية فوق الشخصيات من جميع النواحي فالكمال لله وحده ، فهناك شخصيات من الحيثية الحربية كالامام موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد البربري وناهيك به وبمولاه فاتحي الاندلس شجاعة وتديباً وسياسة وديناً وأخلاقاً والمولى إدريس الاول معجزة التاريخ وصقر قريش الحقيقي الذي أتى فرداً مع عبده ووقف بباب عبد المجيد الاوربي خائفاً لا جناً من وقعة وج لا عصبية ولا مال ولا تقدم له ولا لايه خلافة يني عليها وعلى ذخائرها وصنائعها ولا ولا ، فلم ينشب أن نزل له عن العرش وأصبح بين يديه خادماً (١) ، ويوسف بن تاشفين الامام الخليفة الراشد الموفق الذي رفع المغرب الى صف الدول

(١) ويمكن ان ينازع منازع فيقول انه حجازي لا مغربي ويمكن ان نجيب بأن من هاجر الى بلد واستوطنها اربع سنين نسب اليها ، نعم قد يكون البحث وجيهاً في موسى بن نصير . مؤلف

العظام وأنقذ الاندلس من الاضمحلال ، وفي نظري أنه أعظم شخصية تاريخية في المغرب من حيث السيف والسياسة والعدل والاستقامة وسلوك سنن عمر بن الخطاب ، مستحقة لخلود الذكر الجميل ، ويليه في السياسة والسيف عبد المومن بن علي الذي أنقذه من احتلال النورمان الذين دوخوا السواحل الافريقية واستعمروها بعد صقلية في شخصيات أخرى من هذه الناحية وهي كثيرة كيوسف ابن عبد المومن وولده يعقوب المنصور والمولى إدريس الثاني وتاشفين حفيد يوسف بن تاشفين من حيث أعماله في الاندلس وابن عائشة وابن فاطمة كذلك في الاندلس عملوا أعمالاً في الانتاخذ تعظم بها شخصياتهم ، ويعقوب المريني وابي سعيد وابي الحسن ناشر لواء العلم والصناعة والمدنية العربية الاندلسية في هذه الديار ويقاربهم كثير كأحمد المنصور السعدي والمولى الرشيد العلوي والمولى إسماعيل والمولى عبد الرحمن بن هشام والمولى الحسن قدس الله أرواحهم في دار السلام أما شخصيات العلم والادب فكثيرة أيضاً تقدم بعضها واعظم شخصية جمعت بين العلم والادب والسياسة والعدل عندي القاضي عياض اليحصبي فإن الرجل خدم العلم خدمة تذكر فتشكر بكل فخر وإعظام فكان مجراً في العلوم العربية والادب والشعر والكتابة والتفسير والحديث والفقه والفنون الاسلامية كلها يدل لذلك تواليه التي لا زالت مطمح أنظار كبار العلماء في الافطار الاسلامية من أذناها الى أقصاها شرقاً وغرباً وانتفع العالم الاسلامي وغير الاسلامي بها داخلاً وخارجاً فهو محترم بخارج المغرب قدر احترامه في داخله او اكثر وشخصيته عظيمة هناك وهنا كما انه كان قاضياً فسل سيف العدل وقام بالقسط لم تدنسه أغراض ولا أغراض الى غير ذلك من مناقبه الجمة رحمه الله فهو شاعر من الطبقة

عش رجبا تر عجباً

رأيت في المنام ما أقصه عليك . بايجاز : كنت جالساً بظل شجرة فأثقل جفني النعاس ، فأريت في المنام اني انا النصراني . مسافر مع صديق لي مسلم أديب في قفر بالبادية ، فما سرنا غير قليل حتي اعترض لنا في طريقنا ذئب معروف باعتدائه على الاغنام وفي بعض المرات على الانام ، فهاجنا وعوى الى رفقاءه الذئاب كأنه يبشرها بلسان حاله انه أصاب فريسة طيبة وغنيمة باردة ، فن الطبع تعاضداً كلانا وانفقنا على قتل عدونا فعاجلناه برصاصة ورصاصتين رميناه بهما من البندقية (المكحلة) فخر على الارض صريعاً ميتاً فحمدنا الله الرحيم حمد عبيد أميين مؤمنين به سبحانه ، فأفقت من نومي ورأيتني لم أزل تحت الشجرة وعلى مقربة مني جماعة من العرب المسلمين الادياء المتعلمين يتحدثون عن احوال العالم الحاضرة من حلوها ومرها ومليحها وقبيحها وعن الاختيار والاشرار ، وقد حكموا كلمهم حكماً جازماً ان الدنيا اليوم مقسومة الى قسمين والى حزين عظيمين لا ثالث لهما ، حزب آل اليمين وحزب اصحاب الشمال ، فالاولون هم المؤمنون الامناء الصادقون من مسلمين ونصارى ويهود والآخرون هم عبدة الاصنام بالشرق الاقصى وتبائعهم من الملحدين والمارقين من الدين اهل الشيع الشنعاء والبدع العوجاء ، وقال اولئك المتحدثون ان عصرنا هذا هو عصر تحارب وتضارب وترافع وتدافع ، بل حرب ضروس هي اشأم من حرب البسوس بين عبيد الله تعالى والعصاة الضالين المضلين كتلك الزمرة التي صيرت روسيا كجهم الحمراء مسعرة نيران الكفران والظلم والعدوان في كل مكان وكصاحب ألمانيا اليوم المتكبر المتجبر الذي كان يدعي النبوة ويجعل نفسه نصف اله ، فكان أمير الشعراء . بمصر رحمه الله عنه بقوله لما هجا غليوم الثاني صاحب الحرب الكبرى فن القصيدة الحسنة أذكر بيتين أكثر من ذكر الاله تورعاً وزعمت انك مرسل وأمين وكذلك الجزار يذكر به والنصل في عنق الذبيح ذفين فبعد عودتي الى مكتبي في هذه العاصمة الرباطية المحروسة بالله .

العالية وكاتب ومؤلف وقاض ومحدث وقيه كذلك في الجميع لا أظن احداً ينازعه في ذلك فهو من الشخصيات التي تستحق خلود الذكر الجميل .

(س) ما اصل كلمة المخزن ؟ ومتى أطلق على الحكومة المغربية ؟ هل إطلاقها اجنبي او مغربي .

(ج) لفظ مخزن عربي فصيح مفعول مفتوح العين اسم مكان قياسي من المخزن مصدر خزن يخزن بضم المضارع ، والاصل فيها ان العرب لما اختطوا القيروان واختطوا بها دار الوالي جعلوا بها مخزن المئون والذخائر والاموال التي تجي من الرعية وتدفع للجيش والموظفين فصار اسم المخزن يطلق على دار الولاية التي هي مركز الحكومة كما اشار لهذا بعض مورخي القيروان ، ثم لما ادخل حسان بن النعمان نظام الشرق على المغرب الادنى والاوسط والاقصا ودون الدواوين ونظم بيت المال ورتب الجيش بقي اسم دار المخزن يطلق على دار الولاية وان لم يكن فيها خزن مجازاً علاقته الاطلاق والتقييد ثم صار علماً بالغلبة على محل الحكومة ونسبوا اليها من كان من جملة أفرادها فقالوا مخزني وبقي ذلك الاسم سائراً الى ان وصل المغرب الاوسط والاقصا فهو الان يطلق في الاقطار الثلاثة بالمعنى المتقارب أو المتحد على ما يطلق عليه الباب العالي عند الترك في الاستانة وكما يطلق لفظ الاعتبار الشريفة في المغرب الاقصا فهي مرادفة لها تقريبا ، واذا اطلق لفظ مخزن في المغرب الاقصا انصرف الى رجال الدولة من غير احتياج الى قرينة لانه حقيقة عرفية فيهم فهو اطلاق مغربي عربي افريقي .

محمد الحجوي

في العدد المقبل مقال في

شهيرات النساء بالمغرب